الحقيقة المحمدية والعلم الحديث

علم النفس والسعادة الإنسانية

بقلم الأستاذ: حسنى طه شكيان

قلنا — بنور توفيق الله العظيم — إن عواطف الناس المكتسبة ، ونوازعهم الفطرية فى انسجامها تؤدى إلى خير الإنسانية فى درجات شتى حتى تصل لأرفع مستوى ، ونعنى بها حب الإنسانية كلها وتلك درجة القادة والأنبياء . . .

وقد رأينا لرسولنا الأعظم أروع الأمثلة فيما قدم للإنسانية من بر ومرحمة ، فهو حيث يستعين بالله من كل صور النقص والضعف ويقدم العلاج ، ويتقدم نحو الخير والحق والجلال كأعظم قائد للكمال عرفته البشرية . . .

واليوم نختم حديث علم النفس فى بحث السعادة والإنسانية عن إنسان الكمال محمد الكريم فى فصلى : المرض والعافية ، والشقاء والرحمة .

المرض ضعف وآلام تنزل بالمرء لإهماله قوانين الصحة من النظافة والتطهر والتجمل واتخاذ أسباب العافية الكريمة فى البدن للنفسى والعقل .

وقد استعاذ الرسول بربه من المرض وآثاره ومظاهره كلها فقال فى دعائه اللهم إنى أعوذ بك من الألم والحزن ، وأعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال . . . وأعوذ بك من الداء العضال اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والفقر . . .

وكل هذه مظاهر للضعف فى البدن والنفس وأمراض تسلم بالضعفاء من الناس ثم انتقل من الإستعاذة إلى العمل للوقاية من الأمراض . . . فالوقاية خير من العلاج ولن تجد دينا أعد الإنسان لحياة القوة والكمال البشرى ، والجمال فى صـــورة كاملة كالإسلام فإذا كانت العافية ترتبط كثيراً بالنظافة والتطهر من القاذورات فى المسكن والمطعم والمشرب والملبس ، فقد جاءت رسالة محمد بأروع صور النظافة والتطهر فلا بد فيها من خمس صلوات بين يدى الله ، ولا تصح الصلاة دون وضـــوء ، والوضـــوء تطهر ونظافة ، وتخلص من الأوساخ والأقذار

والنجاسات ، ولا بد من ماء طهور نظيف لذلك ، ولا تصح الصلاة مع نجاسات فى الثوب أو البدن أو المكان ، والنظافة كما يقرر الطب أول قانون فى الصحة والعافية وليس كالإسلام رسالة قررتها فى روعة وجمال فثمة الإغتسال الواجب أو الإغتسال المستحب فى كل يوم عيد وجمعه ، . . للتجمل أو للضرورة . .

وإذا ارتبطت العقد النفسية من حقد وحسد والاضطرابات العقلية بما يصيب المرء فى حياته فقد جاءت الصلاة — مع ما فيها من اتصال علوى كريم بالخالق الرازق المدبر الحكيم الرحمن الرحيم — جاءت من وراء هذا تطهراً كبيراً من اضطرابات النفس والعقل وسبيلا إلى طمأنينة القلب... فهى لسعادة الدنيا ونور الآخرة.

ولتسمع معى بعض حكمة الرسول فى ذلك : الوضوء سلاح المؤمن . . النظافة من الإيمان، تنظفوا حتى تكونوا شامة بين الأمم . . . ان الله جميل يحب الجمال . . نظيف يحب النظافة أترون اذا كان بباب أحدكم نهر يغتسل فيه خمس مرات فى اليوم . . هل يبقى ذلك من درنه شيئاً ؟ قالوا : لا يارسول الله . . . قال : هكذا الصلاة الخمس . . .

وبذلك قرن بين الصلاة والنظافة والتخلص من جميع الأدران الظاهرة فى قذارة بالغسل وبالوضوء ، وبالأدران الباطنة من اضطرابات نفسية وآثام بالصلة بالله العظيم فى الصـــلاة . . . كما قرن بين هذه الأدواء كلها والكفر فقال : فرق ما بين المسلم والكافر الصلاة . . . فمن تركها فقد كفر فلا شك أن تارك الصلاة ان لم يكن كافراً بأنعم الله عليه فهو أقرب الى الكفر ومظاهره المتعلقة بالشكوك والاضطرابات النفسية العنيفة والحقد والبغضاء ، فهو أن نزل به بلاء ملأ الدنيا حقداً وبغضاء ، وان نزلت به نعماء طمع فى المزيد من غير شكر أو بالعدوان على حقوق الناس ، فلا ميزان للناس عنده ما دام لا يرقب الله فيهم ، وهو الى هذا ؛ لعدم تطهره لايبدو مشرق الوجة كما يبدو المؤمن المتطهر بالوضوء المتجمل بالنظافة ولذلك قال مستشرق : انه يستحيل على من يصلى صلاة محمد أن يكون مريضاً فى عقله أو فى نفسه كذلك اذا قال الطب إن كثيراً من الأمراض فى اللثة والمعدة يرتبط بنظافة الأسنان أدركنا حكمة محمد الطبيب الأكبر حين شدد فى الوصاة بالسواك ، فقال : لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة . . وأما هو فما كان يتركه فى مرض أو عافية ، فى صوم أو افطار . . .

وإذا قال الطب ان كثيراً من الأمراض ترتبط بالمعدة وامتلائها، وادخال الطعام على الطعام، أدركنا حكمة محمد الطبيب الكامل حين يعلن: نحن قوم لا نأكل حتى نجوع واذا أكلنا لا نشبع.. ماملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه.. فإن كان لابد فاعلا فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه...، كما يربط بين الكفر والبطنه، وبين الإيمان والتخفف حيث يتيح المؤمن لنفسه خفة البدن للا نطاق الى ذكر الله والصلاة والعمل الصالح، فضلا عن الاقتصاد وترك بعض الطعام للغير فالتبذير والإسراف من أخلاق الكفرة واخوان الشياطين.. يقول الرسول الطبيب العليم:

« والمؤمن يأكل فى معى واحد والكافر يأكل فى سبعة أمعاء وما عرف الطب حكمة كحكمة: الوقاية خير من العلاج...

وقد دل الرسول الكريم عليها الإنسانية أكرم دلالة بالتطهر والتجمل والتزين والنظافة والتخفف من الزوائد والاقتصاد للحاجة والتودد للغير بما فاض عن المرء وكل رسالته طهارة وجمال حتى يعلن الحق تبارك وتعالى: ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين.. فيقرن التطهر من الذنوب والآثام بالتطهر من الأقذار والنجاسة.

أما اذا نزل البلاء لخطأ وقع فيه المرء فلا يتبرأ منه الطبيب الحكيم فهو يعلم بأن كل بنى آدم خطاء، ولكنه يقول وخير الخطائين التوابون، ولذلك يدلهم على طرق التوبة والرجوع الى الحق والجمال بما شوه الحق فى نفسه، والجمال فى حقيقته الظاهرة والباطنة، فيعلن الحكيم بأدواء النفوس والأبدان: ياعباد الله تداووا فإن الله لم ينزل داء إلا وجعل له دواء إلا داء واحد هو الموت... وبذلك يدفع المريض دفعاً إلى اتخاذ وسائل العلاج بكل جهد ومن كل سبيل حتى لايرضخ إلى المرض فتزداد علته، ويتفاقم بلاؤه.. ولاينسى أن يزودة بدعاء يرفعه إلى رب العافية وواهبها فيقول. ماسأل المرء ربه بعد تقوى الله خيراً من العافية.. ولاتتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية.:.

وفى ليلة القدر حيث يجاب الدعاء ولا سيما فى لحظات الإشراق الربانى تقول السيدة عائشة إذا أنا صادفتها وعرفتها فأى دعاء أقول يا رسول الله؟. فهى بذلك تسأله عن الدعاء الجامع فيقول الحكيم القائد إلى الكمال: قولى اللهم إنك عفو كريم

تحب العفو فاعف عنى . . والعافية كلمة جامعة للسلامة والجمال معا فى كل شئون المرء . والرسول حيث يدعو للعلاج من كل داء ينزل بالمرء يصف بعض الدواء لبعض الأدواء التى نزلت بأصحابه . . كشربة عسل ، أو حجامة ، أو الماء البارد عند الحمى التى يعتبرها من فيح جهنم كما وَصَف ووصِفَ بين يديه بعض الأطعمة والفاكهة والأعشاب علاجاً لبعض الأمراض ، والطب الحديث لا يرى بها بأساً وما يزال يوصى بها فى مثل هذه الأدواء وحدها أو مع غيرها . . . حقيقة بنفسها أو متخرجات منها فى الصيدلة الكيميائية . . . فالنحل يخرج منه شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس . والزيتون صبغ للآكلين . واللبن شراب الفطرة والغذاء الكامل . . . الخ . ثم لا ينسى أن يزود المريض بعزيمة كبرى لا تضعف أمام المرض ، فكم من مرض ضوعفت آلامه من الخور النفسى ، ولكن الخبير بالنفوس يقول للمريض . . لا تخف فأنت بين يدى رحمة ربك ، وهو يناجيك ، ويطلب منك المناجاة ، وهو يطهرك من بعض الآثام والأوزار لتكون إنساناً كاملا فلا تضجر ولا تحزن .

« ما من هم ولا غم ، ولا نصب ولا وصب يصيب المسلم حتى الشوكة يشاكها إلا وضعت بها خطيئة ، ورفعت له بها درجة أو كتبت له بها حسنة . . . ويقول عن لسان ربه العظيم يوم القيامة يقول لبعض عباده * عبدى مرضت فلم تزرنى قال : رب كيف تمرض وكيف أزورك وأنت رب العالمين . . قال مرض عبدى فلان فلم تزره ولو عدته لوجدتنى عنده ... الخ الحديث . . . ويقول أيضا عن ربه : أهل ذكرى أهل مجالستى ، وأهل طاعتى أهل رحمتى وأهل شكرى أهل زيادتى وأهل معصيتى لا أقنطهم من رحمتى فإن تابوا إلى فأنا حبيبهم ، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم ، أصيبهم بالأسقام والأمراض لأطهرهم من ذنوبهم فإذا جاءونى جاءونى ولا ذنب عليهم . . » وذلك تفسير الآية الكريمة : وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير . . . » وفى الحديث : إذا أحب الله عبدا ابتلاه ومن هنا يصاب المؤمن فلا يجزع لأنه إن كان آثما من قبل فهو تطهير له ، وإلا فهو رفع درجات ، ومناجاة لله العظيم . ومن ثم فلا يهلع ولا يكفر بقضاء الله وقدره شأن العتاة المتجبرين . . .

يتبع

أخبار صوفية

مشيخة الطرق الصوفية وموالد الأولياء

• داخل المنهج العام للنهضة الصوفية الشاملة يواصل سماحة السيد محمد محمود علوان شيخ مشايخ الطرق الصوفية كفاحه فى سبيل تطهير ساحات الاحتفال بموالد الأولياء مما تسرب إليها من العادات الدخيلة ، والتقاليد البالية ، حتى تغدو هذه المواسم الدينية الكريمة ، والذكريات الروحية العالية ، صورة حية لأخلاق ديننا ، ومبادىء رسالتنا ، وتطور نهضتنا .

وبمناسبة بداية موسم هذه الاحتفالات أرسل سيادته كعادته فى كل عام إلى الجهات الرسمية لتعاون مشيخة الطرق الصوفية فى هذا الواجب الدينى الكبير .

وقد تفضلت وزارة الداخلية فكتبت إلى المحافظات باتخاذ الإجراءات اللازمة لتحقيق هذا الغرض .

ويسرنا أن ننشر على صفحات مجلة (الإسلام والتصوف) خطاب السيد اللواء المدير العام للإدارة العامة إلى سيادة وكيل الداخلية :

السيد وكيل وزارة الداخلية ... لشئون الأمن العام والشرطة بالإشارة إلى كتاب سيادتكم رقم ٣٥٥٣ المؤرخ ١٤/١٠/١٩٦٠ المرسل مغه كتاب السيد شيخ مشايخ الطرق الصوفية رقم ٤٣٥/٦٠ بشأن اتخاذ ما يلزم من إجراءات لتطهير الموالد من العادات الدخيلة ، والتقاليد البالية وذلك بمناسبة إحياء مولد الإمام الحسين ، وسيدى مرزوق الأحمدى بالقاهرة والسيد أحمد البدوى بطنطا وسيدى إبراهيم الدسوقى بدسوق .

نفيد سيادتكم بأنه قد تحرر بتاريخ ١٥/١٠/١٩٦٠ لمديريات أمن القاهرة والغربية وكفر الشيخ لاتخاذ اللازم فى حدود التعليمات .

رجاء التفضل بالإحاطة : .

مولد الإمام الحسين

• أقام سماحة السيد محمد محمود علوان سرادقاً ضخما بميدان سيدنا الحسين بمناسبة الاحتفال بمولد سيد الشهداء الإمام الحسين .

وكان هذا السرادق مثابة للناس وكعبة لهم ، يرتاده فى كل ليلة الألوف من رواد المولد وزواره ، ويغشاه كبار رجالات العروبة والإسلام ، وأعلام الفكر والأدب ، ومشايخ الطرق ورجالهم ، يستمعون إلى الموعظة الحسنة ، والأناشيد الصوفية الرفيعة ، ويشاهدون حلقات الذكر الشرعية .

كما مدت موائد الطعام للناس عامة ، وللفقراء خاصة ، طوال ليال الاحتفال .

وفى الليلة الختامية ، ألقى الأستاذ الكبير حسن كامل الملطاوى وكيل وزارة الخزانة ، كلمة روحية قيمة أحاط فيها بجهاد الإمام الحسين واخلاقه وآدابه ومثله العليا .

مولد القطب الدسوقى

يحتفل فى العاشر من شهر نوفمبر الحالى ببداية مولد القطب الولى العارف بالله ، السيد إبراهيم الدسوقى ويستمر الاحتفال به أسبوعاً .

مولد القطب البدوى

يحتفل بالليلة الختامية لمولد القطب الكبير السيد احمد البدوى فى مساء يوم الخميس ٣ نوفمبر الحالى .

مشايخ جدد

• وافق المجلس الصوفى الأعلى برياسة سماحة السيد محمد محمود علوان على تعين السادة الأساتذة حسين الجنيدى عضو مجلس الأمة ، وكامل عبد الجواد القاينى عضو مجلس الأمة وعبد العليم البكرى مشايخاً لطرقهم .

فى احتفالات المولد النبوى بالاسكندرية

• نشرنا بالعدد الماضى احتفال رجال الطرق الصوفية بالاسكندرية بمولد الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وقد سقط سهوا الكلمة الخاصة بالمجهود الذى بذله السيد ابراهيم بيومى سليمان نائب السادة البرهامية فى هذه الاحتفالات .

فى الأفق الثقافى

• تستعد مشيخة الطرق الصوفية لإصدار الكتاب الصوفى الخالد « تذكرة الأولياء » للإمام فريد الدين العطار ويشرف على اعداده وتحقيقه الأستاذان طه عبد الباقى سرور ، والسيد محمد عبد الشافعى .

• يصدر فى هذا الشهر فى سلسلة المكتبة الثقافية كتابا عن الحب الألهى للكاتب الكبير الدكتور محمد مصطفى حلمى .

• قررت كلية الآداب بجامعة القاهرة على طلبة قسم الدراسات الفلسفية كتاب « التعرف لمذهب أهل التصوف » الذى قام بتحقيقه والتقديم له ، الدكتور عبد الحليم محمود ، والاستاذ طه عبد الباقى سرور .